الحب الصوفي

٤ — عاطفة الاستسلام

ايها القلب المريض الذي اقتنع بجمال المرأة
ابحث هنالك — في مكان أبعد
وضع امانيك ومسراتك في مثل اسمى
وناشد الطبيعة الكاملة ان تمنح نفسك
حبًّا اوسع آفاقاً ، يليق برغائبك

لتبدأ حياة حبيبة جديدة في نفسك
مكثرة فيك الفرح والشقاء .
وانظر الى الانسانية كأنها كونك الواسع
واجعل لتنفسك آماله وسكره ودموعه !

في هدوء الحواس وصفائها
يعرف العاقل ان يزدري التأثير القبيح الذي يحمله الينا الجمال المروّع
بواسطة الاتحاد الصافي للالوان والخطوط .

حارب بدون أمل ولا سأم من نفسك ،
واقفاً كل كيانك على بلوغ المثل الاعلى .
واذا ما غُلبت على أمرك فصن دائماً لون الكبرياء في عينيك
لانك تصل عملاً مقدساً ، وتحل محل الآلهة .

اربعون مثل سليمان حكموا طوراً بعد طور
— قبل ان يولد آدم — على جماعات لاعدد لها تجهل كل حب .
كانت تلك العصور يضمرها ظل من الابد الكثيف البيد .

ثم ظهرت ذرية آدم ناضحة عنها كثيراً من الوحشية الاولى

ولكن الغريزة الحيوانية لا تزال تجري في عروقها .
طينتها حالت تراباً ، ثم أصبحت سامية ، فخلقت آلهتها .

على أنها تفوقت بقوتها وعظمتها على الاجداد
برغم جبلتها المخلوقة من طين ، وعدها المائل لها .
فلتكن يوماً اهلاً لتكون خليفةً في الكائنات ،
ولتبدع نفسها على صورة آلهتها الطاهرين

العاقل يصير ان قايل مع هابيل ،
والفضيلة مع الرذيلة يخرجان من نبعة واحدة .
والعاقل — على تجنيه بهذا السر المبهم —
— وعلى رغم دنس الوجود — يظل قلبه نقيًّا .

ألا اين الراحة ؟ وكل شمس من هذه الشموس السابحة في الفضاء
يسوقها ريح أزلي ،
وهذه الاعاصير من حب وقوة وصفاء
تندحرج غارسة الحياة حيث تحط زوابعها.

الهواء والماء ، الصخر الصلد والكائن الفائض بالحياة
النبات والحيوان انما هي ابخرة متجمدة .
ولكن من أين فاضت النفس فينا ؟
ومن أين اقبلت افكارنا الينا ؟
أكانت أبخرة الشمس تفكر من قبل ؟

ان رابطة الشفقة تربطك بكل الاشياء
انها رابطة الهية سريعة العطب لا ينبغي ان تقطعها
فاعذر الخطيئة وتفهم اسبابها
ولتحمل نفسك قبلة العطف الى المحزونين

ان من يضحي بحياته الضيقة الحدود ،

ويعرف الموت في سبيل ملكوت الوجود
هو السلطان الذي أغبطه

ومن يتقبل الألم ليجعل حبه أكثر عنفاً وقوة ،
ويتصرعلى سر الحياة وهو محب سعيد .

ذهولك في الموت أغبطك عليه دائماً ،
ايها المؤمنون المراعون للحب حتى العذاب
ويا من تعرفون تذوق اللذات المرة
لتكونوا شهداء حبكم .

امزج نفسك المتأثرة بالكون
وتابع الحياة في كل مكان ، في اعماق الهوات السحيقة
او الحياة المضيئة الصافية الهادئة على رؤوس القمم
ثم اسقط هادئاً لتسبطاً في « العدم » !

اعز الفقير — ملك الفقراء !
الذي يستبيح قوته
ولكن نفسه المحبة مشتعلة من نار !
هنالك توّابون شبيهون بالأسود
وتوّابون يشبه غضبهم غضب الكون وتمرده
وتوّابون ترتجف امامهم الملوك

ماذا تستطيع ان تتمنى ايها القلب الاكبر من الوجود
شيئاً غير الحب ، وغير الجنون فيه ، وغير مؤازرتك بدون نهاية للشقاء الذي
يدوي ، شقاء من في نفوسهم ظمأ
وفي اجسادهم جوع

إذا كان الملكوت الحقيقي هو في المعرفة ،
واذا كان العاقل مندوعاً بمثل هذه القوة ،

سيداً على نفسه وسيداً على الاشياء ،
فان الكنز الحقيقي الرائع هو في افئدة العاشقين ،

ينبغي لهُ ان يعطي جنبه ، ويجود بنفسه ،
ويودع شفتيه ويسمح بدمه وهواه وناره ،
ويعطي نفسهُ كلها كما تفعل الشمس
قبل ان يغرق في الماء الأزلي

الصوفي يعلم الرغبة المتأججة في صدور الناس ليكونوا سعداء ،
ويعلم ان في سيئاتهم سيئات الاجداد
ولكنهُ رفيق محب مشفق عليهم
يوزع هبات قلبه وحبه على جميع الكائنات .

وراء ملذاتك لا تزال لك ملذة اخرى :
ان تذهب فقيراً حقيراً مأخوذاً بجنون الحب نحو المتألمين
تقسمهم بكل نفسك وقلبك ،
اولئك المتألمين الاموات المرتعشين في الليل البارد الذي يُرخي سدوله عليهم.

اجعل حلمك أليفاً مع الابدية
وعوّد عينيك النظر في هوة الفضاء .
وفي كل هذا السر المجهول الذي تتضاءل عنده جرأة الانسان المحدودة

وهكذا تتدحرج المادة كسهم كبير .
وكل شيء يتبدل . ولا شيء يموت .
في الهاوية العميقة تدور الاسباب ، وتتحول الاعمال
والاشياء تتآلف وتتفكك بلا انتهاء !

ان المتأمل في الحياة الخالدة الداخل في مادتها كأنهُ متلاش فيها ،
يرى الغد لا شيء عنده ، ولا الامس ولا اليوم .
ويجد ان الحياة والموت كلمة لا معنى لها (انتهى)